رحلة في منجز القاص غانم عمران

يصّر القاص غانم عمران على جلد الانحراف في المجتمع من خلال مجموعته القصصية الصادرة عن دار ديوان العرب للطباعة والنشر والتوزيع في مصر لسنة 2019م والتي تضمنت بحدود سبعة وتسعين نصا قصيرا تسيدها النقد تارة والسخرية السوداء أخرى وهذا المنهج من المناهج التي تحوز اهتمام المتلقي لأسباب عديدة على رأسها انشغال إنسان اليوم بشؤون الحياة وتعقيداتها فضلا عن الهجوم المفاجئ للمعلوماتية التي كادت أن تقضي على القراءة الورقية .

غانم عمران ومن خلال هذه المجموعة يسفر عن وجه القاص الملتزم والناضج الذي استدل ومن خلال تجربة راسخة في الحياة على الطرق المفضية للقراء وكيفية تعبيد طرق التواصل مع الجمهور وهذه الميزة تحسب للقاص فضلا عن أن الترجمة الى اللغة الانكليزية قد أضفت على المجموعة جمالية أخرى .

قدم للمجموعة من اليمن الدكتور سامي أحمد الغشم ومن العراق الأستاذ الدكتور أسعد محمد علي النجار وكنت أتمنى أن وجهات

النظر للأساتذة الأجلاء تكون في نهاية المجموعة، وهذا رأيي في «أن الشعر والقصة والرواية تحديدا من الأجدى أن تعقبها الآراء ولا تتقدمها» ومع ذلك فإن تجربة القصة القصيرة جدا في أيامنا قد أسيء فهمها واختلف في تعريفها بين مسمى قصة قصيرة جدا وبين ومضة قصصية ومازال النقاش محتدم حول المصطلحين والقصة في ابسط مفهوم لها «أحدوثة شائقة. مروية أو مكتوبة يقصد بها الإقناع أو الإفادة» وبهذا المفهوم الدلالي، فإن القصة تروي حدثاً بلغة أدبية راقية عن طريق الرواية، أو الكتابة، ويقصد بها الإفادة، أو خلق متعة ما في نفس القارئ عن طريق أسلوبها، وتضافر أحداثها وأجوائها التخييلية والواقعية.

فما تعريف القصيرة جدا هي بذات التعريف ولكن «مكثفة في الحدث، موجزة جدا في استخدام الألفاظ، فيها أربعة عناصر أساسية الحدث أو القصصية والجرأة والتكثيف والوحدة .

يقول القاص غانم: «**جماجم الشجعان التي سقطت في أرض المعركة بالحق، اعتلتها حوافر الخونة لالتقاط صور النصر**» ص14

أوجز وكثف مع وحدة الموضوع والجرأة القصة سياسية بامتياز، كل الحروب والثورات في العالم قرابينها الفقراء ممن ضحوا بأرواحهم ومن يستثمر الفوز ويحصد النتائج الطارئون والانتهازيون .

يقول القاص:

«بعد أن احدودب ظهره من كد وعناء وفّر لهم الاموال دون تقسيم، كان نصيبه بين الورثة السب واللعن» ص22.

ظاهرة اجتماعية سائدة بين ابناء هذا العصر لابتعاده عن القيم الاجتماعية العليا فضلا عن ابتعاده عن القيم الدينية، فلا دين ولا خلق حتى مع أقرب الخلق «الاب» الذي وفر للابناء عيشة كريمة وكان نصيبه اللعن بسبب الخلاف المادي بين الاشقاء، والقصة تنبض بالصدق نتيجة للتحول المادي في حياة الناس وسيادة روح الاستئثار والطمع.

في موضع آخر يقول:

«العربي الذي يئس من واقعه امتطى صهوة الزمن يستطلع شكل المستقبل، خنقته رائحة الدماء، التحف عباءة الماضي» ص52

وخزّ ونقد وسخرية سوداء، المنطقة العربية تعج بالموت ودم العربي صار أقل شأنا من الماء والمشكلة أن القاتل والمقتول من سلالة العرب، لذا تحول العربي للاجترار الفارغ بزعم أن لديه حضارة زاخرة وعمقها كذا وكذا ... وهذا ما يتقاطع مع الواقع المعاش الامر الذي جعل ابناء الجيل العربي اليوم يشككون من أن للعرب حضارة أو دين ذلك أن الامور بمخرجاتها ولا مخرج بأيدينا من تلك الحضارة المزعومة.

انتقد القاص الواقع مثلما انتقد الماضي المعتم بفضل تزوير التاريخ وتشويه الحقائق وهذا مثّل الجرأة في الطرح ونقدا فيه روحا تهكمية وسخرية سوداء تستهدف الإصلاح القائم على إعمال النتاج الادبي لخدمة قضايا المجتمع فوق ماله من وظائف جمالية أخرى.

ويضيف القاص:

«النخلة التي احتضنتهم بظلها وغذتهم بثمرها، جف ماؤها ويبست عروقها عندما رأت أصحابها يأكلون تمرا مستوردا «ص78

«المنصب المرتقب الذي حصل عليه جارنا لتعبيد الطرق وبناء المدارس، أثبتت بأنه كالملح في الماء الساخن» ص83.

ونخلص لحقيقة لا جدل فيها أن القصة القصيرة جدا التي عمل عليها القاص غانم ورغم قصر هذه القصة القصيرة جدا، ومحدوديتها من حيث عدد الكلمات والجمل بصريا وفضائيا وتركيبيا، فإنها تطرح أسئلة كبيرة وجادة، تجمع من جهة بين الذاتي والموضوعي، وبين الواقعي والخيالي، وبين الملموس والماورائي، وبين المحلي والإنساني. وتتأرجح من جهة أخرى بين الخاص والعام، وبين العجيب والغريب، والمباشر والرمزي، وبين التعيين والتضمين.

وطرح القاص مقاربة في نصوصه للكثير من المشاكل والقضايا والهموم والمصاعب، ولاسيما على مستوى التجنيس والكتابة والتصنيف، بعد أن اختلط هذا الجنس مع باقي الأجناس والأنواع الأخرى.

شكلت المجموعة بتفصيلاتها الميسم الحقيقي لهذا الجنس الأدبي الجديد الذي ظهر ليواكب التطورات السريعة التي عرفها العالم بصفة عامة، والمجتمع العربي بصفة خاصة خصوصا في بلاد المغرب العربي الموطن الحقيقي لها قبل انتقالها إلى الأدب العراقي المختلف في تاريخ حقيقي للعمل بها وفي اغلب الظن أنها ظهرت على الساحة الأدبية العراقية في ثلاثينيات القرن الماضي .

هذه الإضاءة اليسيرة على مجموعة القاص غانم عمران ما هي إلا إشادة بدور هذا النوع من الأدب ومساهمته في إيجاد أرضية لنقد الظواهر السلبية في المجتمع سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية وهذا أحد واجبات الأديب ووظيفة الأدب.